صـــــورة الوطـــن الواقع

فى شعر محمود درويش

الباحثة / مي صبرى عبد الرازق العطار
باحثة ماجستير بإشراف
ا.د. أيمن محمد ميدان

عدد ٥٧ يوليو ٢٠٢١ م

مقدمة

محمـود درويـش مـن من أشهر شعراء المقاومة الفلسطينية ،عاش حياته مابين غربة وتشرد ولجوء فى وطنه ، حمل أعباء القضية الفلسطينية حتى أطلق عليه البعض لقب " شاعر القضية الفلسطينية "، نجح ببراعة فى تصوير الصراع القائم بين الاحتلال الإسرائيلى وبين العرب بأشعاره ،اتخذ من قصائده النضالية سلاحاً يوجهه فى صدر العدو فى الوقت الذى يشهرون فيه سلاحهم وقذائفهم فى صدر أطفال الحجارة ،كانت أشعاره وسيلته لمقاومة الاحتلال وإشعال روح المقاومة فى قلب أبناء وطنه ، كان ذلك نابعاً من حبه لوطنه وعشقه لتراب فلسطين ، والأمل الذى لم يفارقه طيلة حياته وحلمه برؤية وطنه منعماً محرراً ينعم فيه بالأمن والأمان مثلما تمتع به فى صغره ،وأن النصر آت لا محالة .

دفع ثمن كلماته النضالية غالياً حيث سجن أكثر من مرة فى سجون الاحتلال الإسرائيلى ، فقد استشعروا الخطر الذى يهددهم ويزلزل كيانهم ، اتخذ من تجربته الذاتية تعبيراً عن معاناة شعباً بأكمله ، فجاء شعره تعبيراً صادقاً عن معاناتهم ، اتسم بالصدق والعاطفة التى تجعل القارئ والمتذوق لأشعاره معايشاً للواقع المرير الذى عاشه أبناء فلسطين .

غدت قصائده بمثابة الوثائق التاريخية ؛ لمحاكاتها الواقع الفلسطينى وسطوة الاحتلال ، استطاع أن يجسد بريشة الفنان المبدع صورة الوطن الواقعية ، فهو شاعر النضال والمقاومة بلا منازع إنـــه "محمـود درويـش " وقدجاءت صورة الوطن الواقعى وأقصد بها نظرة الشاعر الواقعية وتصويره لملامح وطنه الحقيقى تحت سطوة الاحتلال فى مجموعة من الصور منها :

١-التشريد والإبعاد

آثر الاحتلال شعور الاغتراب لدى درويش ، وهنا يصورمعاناته من فرض الاحتلال الإقامة الجبرية عليه فى منزله "**فى عام ١٩٦٧م ظل درويش لمدة ثلاث سنوات ممنوعاً من مغادرة منزله ، وكثيراً ما**

جاءت الشرطة ليلاً لتتحقق من وجوده "[1]فإن شعور الغربة فى الوطن هو المسيطر على الشاعر وفى ذلك يقول درويش:

من أين أبتدئ ؟.. وأين أنتهى ؟

ودورة الزمان دون حدْ

وكل ما فى غربتى

زوادةٌ فيها رغيفٌ يابسٌ ،وَوَجْد

ودفترٌ يحمل عنى بعض ما حملت

بصقتٌ فى صفحاته ما ضاق بى من حقدْ[2]

"تتفق معظم الدراسات لظاهرة الفقر في الأراضي الفلسطينية المحتلة على الدور البارز للاحتلالالإسرائيلي في تعميق ظاهرة الفقر وتجذرها في الضفة الغربية وقطاع غزة، من خلال ما تقـــوم به إسرائيل من مصادرة الأراضي والاستيلا على مصادر المياه، والتي تـؤدي إلـى حرمـان السكان الفلسطينيين من مصادر دخلهم، وكذلك قيام إسرائيل باتباع سياسات وإجرءات اقتصادية من شأنها تهميش الاقتصاد الفلسطيني،وإعاقة تطورهوتشويه قطاعاته المختلفة، وإعاقة عمليـــة التنمية الاقتصادية، بالإضافة إلى عمليات التهجير القصري والاقتلاع والتشريد، والتي كان لهـا بالغ الأثر على إفقار فئات كبيرة من الشعب الفلسطينـــى "[3]فـالاحتلال تعمـد تهجيـر

[1] شاعر المقاومة محمود درويش :أحمد حسن ،دار الفاروق للاستثمارات الثقافية ،ط١،٢٠٠٩م ص ١٦.

[2] رسالة من المنفى : أوراق الزيتون ، الأعمال الشعرية الكاملة ، دار الساق، ج١ ، صـ٣٣

[3] الفقرفى فلسطين وسياسات مكافحته حالة عملية (محافظة جنين):عبد الله صادق أمين حسن ،جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا ص٣٩

وتشريد الفلسطينيين من أرضهم ،وصور درويش نوع آخر من أنواع السيطرة عليهم ، وهى النفى والطرد خارج الحدود الفلسطينية ، ليجد نفسه حاملاً لاسم لم يعرفه من قبل " لاجئ " بعدما كان آمناً هانئاً فى بلده ،يصور درويش حالة البؤس والحرمان التى عاشها فى منفاه وغربته وصور حالة الحرمان التى اعترته فى غربته بقوله /**كل مافى غربتى زوادة فيها رغيف يابس ووجد** /فهو بائس فقير فى غربته ، محروم من خيرات بلاده التى اعتاد أن ينال منها / ودفتر **يحمل عنى بعض ما حملت /** ولضيق حاله فى منفاه **/ بصقت فى صفحاته ما ضاق بى من حقد/.**

يتذكر درويش أيام صباه ، وما كان ينعم به من خيرات البلاد قائلا :

سلبت كرومَ أجدادي
وأرضاً كنتُ أفلحهُا
أنا وجميعُ أولادي
ولم تتركْ لنا.. ولكل أحفادي
سوى هذي الصخور..
فهل ستأخذُها
حكومتكمْ.. كما قيلا!؟[1]

يصف حاله تحت الاحتلال ، فقد سلب الاحتلال منه بساتين وأراض أجداده ، ولم يترك له سوى الصخر، فقد نهب الاحتلال خيرات البلاد التى كان ينعم بها فى صباه ،وورثها عن أجداده " كأنه أراد إثبات

[1] بطاقة هوية : أوراق الزيتون ، مصدر سابق ، صـ٧٤

حقه فى الأرض منذ زمن بعيد قبل مجئ الاحتلال فقد ورثها أباً عن جدٍ "، وفى قوله /**ولم تترك لنا ولكل أحفادى / سوى الصخور** / دلالة على نهب وسرقة الاحتلال لخيرات البلاد ، فلم يتركوا للفلسطينين شيىء ، حتى أنه يتساءل فى توبيخ واستهزاء / **فهل ستأخذها حكومتكم** / يتساءل ويتعجب هل يطمع الاحتلال فى أخذ الصخور التى لا نفع فيها ؟!!! لازال الشاعر يصور طمع العدو فى أبياته قائلاً:

تموزُ مرّ على خرائبنا
و أيقظ شهوة الأفعى.
القمح يحصد مرة أخرى
و يعطش للندى..المرعى[1]

يربط درويش بين تموز " الشهر السابع من شهور السنة الميلادية " وبين الأفعى ،هذه الأفعى تأتى فى هذا الشهر فتلتهم وتحصد خيرات البلاد من القمح ، فلا ينال الفلسطينيون شيىء من خيرات بلادهم ، ويكمل فى القصيدة نفسها قائلاً:

و تساءل الأطفال في المنفى:
آباؤنا ملأوا لياليا هنا.. وصفا
عن مجدنا الذهبي
قالوا كثيراً عن كروم التين و العنبِ
تموز عاد، و ما رأيناها[2]

اشتهرت المدن الفلسطينية بزراعة العنب والتين ، فالأطفال فى منفاهم يتساءلون عن أيام الهناء والصفاء ، عن مجدهم الذهبى الذى طالما حكى الآباء والأجداد لهم عنها وعن خيراتها ،تذكروا بستاني العنب والتين وهما رمز لخيرات البلاد والمدن الفلسطينية التى عاهدوها

[1] تموز والأفعى : عاشق من فلسطين ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـــ١٠٠
[2] المصدر السابق ، صـــ١٠٠، ١٠١

وتمتعوا بها فى تموز ،يتعجبون فقد عاد تموز لكن الخيرات لم تعاود معه ، فقد نهبها وسلبها الأفعى "الاحتلال " ، كان درويش يحصل على الغذاء من وكالة الإغاثة الدولية وكان يقف طابوراً ليحصل عليه فى مهانة ومذلة " **وأما الغذاء فكانت الوكالة تقدم للفرد كل أسبوعين مقداراً من الدقيق والزيت والسكر لايكفيه إلا نصف المدة ، ويظل كثير من الأسر يعيشون على الطوى ، وكان اللاجئون يقفون صفوفاً متراصة أمام مخازن تموين الوكالة .. يتم توزيع المواد التموينية فى منظر مؤلم ذليل** ".[1] عاش درويش حياة الكبار منذ نعومة أظافره، ووضع حداً لطفولته فى مرحلة مبكرة ، نتيجة للاحتلال وما فرضه عليه التشرد والإبعاد فقد عاش حياة اللاجئين .

٢-اللجـــــوء والمعاناة

بدأ درويش سفراً لاينتهى تحت رحلة الغربة والضياع ، حاملاً عذاب الارتحال الدائم ، السفر الذى جعله مشرداً ، ذاق مرارة الغربة والبعد ، إذ جرب الاغتراب داخل الوطن والنفى خارجه حيث " **أثرهذا الاغتراب والتنقل من عاصمة إلى أخرى، في نفس درويش وجعلا أشعاره حنيناً مؤثراً في النفوس، ذلك أن الأغاني تخرج من القلوب الجريحةالتي حرقتها الغربة، ويصف في قصائده حياته في المنفى، ليس له رفيق غير شعره، وهو في المنفى بعيد عن حنان وطنه وربيع عينيه، ولكنه لايكتفي بالتعبير عن نفسه فحسب، بل يصورالعذاب الملحق بأبناء شعبه في المنفى من الاغتراب والإحساس بضياع**

[1] الأدب العربى المعاصر فى فلسطين ١٨٦٠م-١٩٦٠م : د.كامل السوافيرى ، دار المعارف ،ص ٧٩.

الهوية"[1] فجاء شعره مصوراً للغربة والاغتراب عن وطنه،وصور حالة التشرد والإبعاد فى أشعاره قائلاً:

سمعتُ في المذياعْ
تحيةَ المشرّدينَ.. للمشردينْ
قال الجميع :كلنا بخير
لا أحدٌ حزينْ ؛[2]

صور الشاعر هنا حال من يعيش فى وطنه تحت ظل الاحتلال بأنه مشرد تائه حائر ليس له وطن يؤويه فحال الشاعر وهو فى سجون الاحتلال مشرداً لايختلف كثيراً عن حال أبناء وطنه الذين يعيشون فى ظلال الاحتلال فكلاهما مشرداً ، إن تكرار لفظ المشردين فى مقاطع مختلفة من القصيدة يثير فى نفس المتلقى تصوراً لوضع التشرد والحيرة والتيه الذى يحياه الفلسطينى سواء داخل الحدود الجغرافية للبلاد أم خارجها ،ويصور درويش مرارة بعده وتشرده عن الوطن قائلاً :

رموا أهلي إلى المنفى
و جاؤوا يشترون النار من صوتى
لأخرج من ظلام السجن..
ما أفعلْ ؟
. تحدّ السجن و السجّان
فإن حلاوة الإيمان
تذيب مرارة الحنظلْ![3]

فى الأبيات السابقة يقيم درويش حواراً بينه وبين النبى محمد . صلى الله عليه وسلم . فيسأله ماذا يفعل فى ظل الاحتلال ؟ ليأتيه الجواب من

---

[1] الخصائص الفنية لمضامين شعر محمود درويش :حسن مجيدى ، فرشته جان نثارى ،إضاءات نقدية ،السنة الأولى، ع٤، ٢٠١١م ، صـ ١٣

[2] رسالة من المنفى : أوراق الزيتون ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ٣٦

[3] نشيد : عاشق من فلسطين ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١ ، صـ١٥١

الرسول بالمقاومة وعدم الاستكانة والخضوع ،بأن يتحد المحتل والسجان فإن حلاوة الإيمان بأن النصر قادم لا محالة تذيب مرارة الحنظل .

أجبر الاحتلال الفلسطينين على ترك بلادهم ، والنفى خارجها هذا ماحدث مع أهله يتذكر درويش هذا المشهد قائلاً: " .. **وصلت مع أحد أقاربى الضائعين فى كل الجهات، إلى قرية غريبة ذات أطفال آخرين ، تساءلت بسذاجة أين أنا ؟وسمعت للمرة الأولى كلمة لبنان .. يخيل لى أن تلك الليلة وضعت حداً لطفولتى بمنتهى العنف فالطفولة الخالية من المتاعب انتهت ..** " [1]هكذا وصف درويش مشهد خروجه وأهله من وطنه فلسطين تحت سطو الاحتلال ، فلم يجدوا لهم سبيل للخروج من فلسطين والتوجه إلى منفاهم لبنان .

ويصور معاناته فى منفاه بقوله :

تصوَّريني..صرت في العشرين
وصرت كالشبابِ يا أُماه
أُواجه الحياه
وأحمل العبءَ كما الرجال يحملون
وأشتغل
في مطعم .. وأغسلُ الصحون.
وأصنع القهوة للزبون
وأُلصق البسمات فوق وجهي الحزين
ليفرح الزبون[2]

يعبر درويش عن حالة التشرد والبؤس التى تعتريه وهو فى منفاه فهو لازال شابا فى العشرين من عمره ، إلا أنه واجه الحياة وتحمل شظف

[1] لهم الليل والنهار لى ! : محمود درويش ، مجلة الآداب البيروتية ، ع٤،أبريل ١٩٧٠م ، صـ٤." ترجمة حديث درويش مع الصحفى الإسرائيلى كما نشرته مجلة الآداب البيروتية " .

[2] رسالة من المنفى : أوراق الزيتون ،مصدر سابق ، صـ٣٥

العيش من غسل الصحون وصنع القهوة وتقديمها للزبائن ، فقد تجاوز مرحلة الشباب يحمل العبء فصار كالرجال.

ينبغي أن أجلس في العراء.
و لكيلا أنسى نسيم بلادي النقي
ينبغي أن أتنفس السل
...
و لكي أحافظ على ملكية سمائي البعيدة
يجب ألا أملك حتى جلدي .[1]

يتذكر الشاعر وهو فى منفاه خارج وطنه أن له وطناً مفقوداً ، فى قبضة العدو وعندما يتذكر ذلك ينبغى أن يتذوق مرارة المنفى / **ينبغى أن أجلس فى العراء**/ فالعراء رمز للمنفى ، ولكى لايفتقد نسيم بلاده وهواء وطنه العليل والنعيم الذى كان يحياه داخل وطنه قبل الاحتلال ينبغى أن يتنفس السل ، أن يذوق مرارة العيش وهى تعبير عن الألم والمعاناة التى يلاقيها فى منفاه، ولكى يحافظ على أرضه ووطنه ، وبأن فلسطين ملك له ولكل فلسطينى ، يجب عليه ألا يملك شيئاً وأن يكون طريداً خارج البلاد.

كذلك وصف حاله فى المنفى قائلاً :

حالة الاحتضار الطويلة
أرجعتني إلى شارع في ضواحي الطفولة
أدخلتني بيوتاً
قلوباً
سنابل
منحتني هويَّه
جعلتني قضيّه

[1] مزامير : أحبك أو لا أحبك ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ٣٧٤

حالةٌ الاحتضار الطويلة.[1]

درويش وهو فى منفاه يتأرجح بين الذكريات والألم يعتصر قلبه ، فتودى به هذه الحالة إلى الاحتضار التى وصفها بأنها طويلة ، فى هذه الحالة يتذكر درويش الطفولة ، هذه المرحلة التى نعم فيها بوطنه عاش فى كنفه ، عشق ترابه ، ولد درويش ولم يعرف أما تحنو عليه سوى فلسطين ، تذكر بيوتاً قلوباً سنابل تذكر بيوت أهل ضيعته " البروة " قلوب أحبابه ورفاقه وسنابل خير بلاده ، كل هذه الأشياء التى لازالت عالقة بذاكرته كفيلة بمنحه هوية وطنه ، حالة الاحتضار جعلت من درويش " الذى يرمز إلى اللاجئ الفلسطينى المشرد المبعد المحروم من أن يلامس تراب وطنه " جعلت منه قضية .

يتذكر درويش طفولته الهادئة قائلا :" **أذكر نفسى عندما كان عمرى ست سنوات ، كنت أقيم فى قرية جميلة وهادئة ، هى قرية " البروة" الواقعة على هضبة خضراء ينبسط أمامها سهل عكا ، وكنت ابنا لأسرة متوسطة الحال عاشت من الزراعة** .."[2] لذا كان دائم الحنين إلى طفولته وذكراه الجميل .

ويكمل معاناته قائلا :

القمحُ مُرٌّ في حقول الآخرينْ
والماءُ مالحْ
والغيم فولاذٌ.وهذا النجمُ جارحْ
وعليك أن تحيا وأن تحيا
وأن تعطي مقابلَ حبَّةِ الزيتون جِلْدَكْ
كَمْ كُنْتَ وحدكْ[3]

---

[1] المصدر السابق ، صـ٣٨٩.
[2] لهم الليل والنهار لى ! : محمود درويش ، مصدر سابق، صـ٤
[3] مديح الظل العالى : الأعمال الشعرية الكاملة ،دار الساق ، ج٢، صـ١٤

يعبر درويش عن معاناته هو وأبناء شعبه تحت سطوة المحتل فإن لقمة العيش مرة من الآخرين " عندما يمنون بها عليه " / **القمح مر ، الماء مالح**/ وهنا إشارة إلى تخلى العرب عن مساعدة الشعب الفلسطينى ، فالأشقاء العرب لم يتحملوا مسئولياتهم تجاههم فالماء مالح والحياة قاسية يريد بذلك وجوده فى مخيمات اللاجئيين ، الماء رمز الحياة والقمح رمز العيش.

العدو لايتركهم "فالغيم رمز المطر والخير "لايمطر عليهم مطراً وإنما فولاذ ، الطائرات تلقى عليهم القنابل ، هذه الفعال هى من حملتهم على ترك وطنهم واللجوء إلى الدول العربية طلباً للأمن والأمان ،هؤلاء الفلسطينيون يتخلى عنهم أبناء العروبة ولا يحنوا عليهم أحد وهذا ماعبر عنه بقوله / **القمح مر فى حقول الآخرين** .

ومن الانتهاكات التى ارتكبها المحتل والمأساة التى عاشها الشاعر قوله فى القصيدة نفسها :

كسروكَ،كم كسروكَ كي يقفوا على ساقيك عرشا
وتقاسموك وأنكروك وخبَّأوك وأنشأوا ليديكَ جيشا
حطُّوك في حجرٍ.. وقالوا: لا تُسَلِّمْ
ورموك في بئرٍ.. وقالوا : لا تُسَلِّمْ[1]

فى الأبيات السابقة إشارة للانتهاكات التى يمارسها المحتل فى حق الشعب الفلسطينى الأعزل / **كسروك كى يقفوا على ساقيك عرشا/** فالاحتلال يبنى عرشه ومجده من كسر وذل الشعب الفلسطينى ، ومن هذه الانتهاكات / **تقاسموك / أنكروك/ خبّأوك** /فهم ينكرون وجوده ، وأنهم أصحاب الأرض ، خبأوه لم يعد لهم وجود لا هوية لهذا الشعب الأعزل المهضوم حقه ، فالمقاومة مشلولة الحركة من قبل المحتل.

٣-الصمود والمقاومة

[1] المصدر السابق ، صـ١٦

من صور تصويره لواقعه المأساوى فى أشعاره "الصمود والمقاومة " فقد عرف عن درويش روح التحدى والصمود والمقاومة،فجاءت كلماته تعبر عن رفضه للاحتلال فقد " **وعى محمود درويش منذ البداية الحاجة النفسية والوجدانية والوطنية للقارئ .. ومن ثم كان عليه أن ينتج قصيدة مشحونة بحس المقاومة وحرارة الانفعال .. قصيدة بحجم عذاب النفى والتشريد والضياع والكفاح المستمر ، تحكى قصة النضال والكفاح لشعب اقتلع من أرضه وتشرد فى الشتات . ولم يكن أمامه من حل سوى المقاومة سبيلاً للخلاص والعودة إلى الأرض السليبة ، وهكذا تشكل مفهوم " المقاومة " من طبيعة الواقع الموضوعى الذى يفرض المقاومة بمعناها الفعلى الحقيقى على الأرض**" [1]فاتخذ من شعره سلاحاً يوجهه للمحتل يقاومه به ، ويشعل حماس أبناء شعبه ، ومن الأبيات التى عبر فيها درويش عن صموده قوله :

وأقول للشعراء :

يا شعراء أمتنا المجيده !

أنا قاتل القمر الذي

كنتم عبيده !! [2]

يعلن الشاعر لشعراء وطنه أنه قاتل " للقمر" والقمر هنا رمز للرحيل فالشاعر قاتل للقمر خارج حدود وطنه ، فيؤكد على فكرة البقاء والصمود فى وطنه للمحتل وعدم الرحيل.

"حاول الشعراء المعتقلون من خلال قصائدهم تعزيز صمود أبناء فلسطين داخل السجون،وخارجها، فقد عبّروا من خلالها عما يجيش في صدورهم تجاه هذه القضية. فرغم المعاناة،وطول سنوات السجن،

---

[1] شعر المقاومة عند محمود درويش من النص إلى المصطلح قراءة فى قصيدة "بطاقة هوية" : د. فيصل صالح القصيرى ، مجلة آداب الفراهيدى ، السنة الأولى ، ع٢، ص٢٨٩

[2] قمر الشتاء : عاشق من فلسطين ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ١١٢

إلا أن الأسرى استطاعوا في كثير من الأحيان التغلب على مرارةالسجن، وقهر السجان وأظهروا تماسكا وقوة"[1] بدخول درويش سجون الاحتلال أكثر من مرة استطاع دعم المعتقلين معنوياً فقد فهم نفسية المعتقل وتعرض لما يتعرض له من مضايقات فى السجن ، فاستطاع بشعره إشعال حماسهم ، وإبقائهم صامدين .

وامنعوا عني الدفاتر
والسجائرْ
وضعوا التراب على فمي
فالشعر دمُّ القلب..
ملح الخبز..
ماءُ العينِ
يكتب بالأظافر
والمحاجر
والخناجر
سأقولها
في غرفة التوقيف.
في الحمام..
في الإسطبل..
تحت السوط..
تحت القيد.. في عنف السلاسل:
مليون عصفور
على أغصان قلبي
يخلق اللحن المقاتل[2]

---

[1] الأدب الفلسطينى فى سجون الاحتلال الإسرائيلى (١٩٨٧م - ٢٠٠٠): محمود موسى محمود زياد ،جامعة بيرزت ، ص٤٤

[2] تحد : عاشق من فلسطين ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ١١٧، ١١٨

المحتل يحاول خرس الألسنة ، فلا يريد أن تصل صرخات أهات الفلسطينيين لأحد ، والشاعر هو اللسان المعبر عن شعبه ، لذا تعرض درويش إلى مضايقات وقيود من المحتل / **شدوا وثاقى / امنعوا عنى الدفاتر والسجائر /ضعوا التراب على فمى** ، لكن الشاعر يعلن فى تحدى وصمود مقاومة العدو ، وعدم الرضوخ والاستسلام له / سأقولها فى غرفة التوقيف / فى الحمام فى الإسطبل / تحت السوط/ تحت القيد/ فى عنف السلاسل .

إن ما يدفعه إلى المقاومة / مليون عصفور / مليون فدائى فلسطينى يجعله يقاوم ويقاوم .

"إن الشوق والحنين الذي تعج به قصائد محمود درويش التى تمثل الوجدان الفلسطيني ، غرست في شعبنا الفلسطيني وفي شاعرنا روح التحدي والصمود والمقاومة أمام العنف والبطش الصهيوني الوحشي .[1] إن ما يحمل درويش على المقاومة حنينه لوطنه وقريته التى عاش فيها ينعم بالأمن والأمان ، ويظل مقاوماً للمحتل بكل ماأوتى من قوةٍ .

لأجمل ضفة أمشي
فلا تحزن على قدمي
من الأشواك
إن خطايَ مثل الشمس
لا تقوى بدون دمي ![2]

الشاعر يقاوم المحتل بكل ما أوتى من قوة ، ويبذل قصارى جهده لتحرير أرض فلسطين الحبيبة / **لأجمل ضفة أمشى / لا تحزن على قدمى من الأشواك/** فى المشهد السابق يصور درويش ما يلاقيه على يد

[1] صورة النكبة فى شعر محمود درويش : محمد فؤاد ديب السلطان ،جامعة الأقصى ، مجلة الجامعة الإسلامية ، مج١٠، ع ١،٢٠٠٢،ص١٨١

[2] نشيد :عاشق من فلسطين ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ١٤١

المحتل الغاصب وهو فى طريقه لاسترداد أجمل ضفة " الضفة الغربية" ، يدمى الشوك قدمه كناية عن المضايقات التى يتعرض إليها الشاعر من قبل المحتل لكنه صامد لا يبالى ، ويكمل قائلاً:

فإمّا يهتريء نعلي
أضع رمشي
نعم .. رمشي!
و لا أقفُ
و لا أهفو إلى نوم و أرتجف
لأن سرير من ناموا
بمنتصف الطريق..
كخشبة النعشِ![1]

الشاعر ثابت على موقفه من الصمود والمقاومة ، فإذا تمزق نعله ، وأدمى الشوك قدمه فلا يضعف ذلك عزيمته ، بل هو على دربه صامداً رافضاً للعدو ، ولا يرتاح بأن يخلد إلى النوم طلباً للراحة معللاً ذلك / **لأن سرير من ناموا بمنتصف الطريق / كخشبة النعش** / فالسرير الذى يتخذ للراحة كالنعش يودى به إلى الموت .

" **لقد حرك شعر درويش أبناء أمته وشعبه ، وبث فيهم روح التحدى وحب الأرض فى قصائد جديدة بنقلة نوعية من الوصف التقريرى إلى التصوير النامى للأحداث القائمة ، وبات يشكل أداة للمقاومة الفكرية ، وامتزج فيه الحس بالفكر امتزاجا لم تظهر فيه الازدواجية** "[2]فالشاعر يدعو أبناء وطنه ورفاق القيد والأحزان لتحرير أجمل ضفة" الضفة الغربية" قائلاً :

---

[1] **المصدر السابق ، صـ١٤٢**

[2] **حياة الأدب الفلسطينى الحديث من أول النهضة حتى النكبة : عبد الرحمن ياغى ، منشورات المكتب التجارى بيروت ، ١٩٦٨م ، ص٦٧، نقلا عن الاغتراب فى شعر محمود درويش: إبراهيم محمد صبيح ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ـ العراق،١٩٩٩م، ع ٤٧، ص ١٠٢**

تعالوا يا رفاق القيد و الأحزان

كي نمشي

لأجمل ضفة نمشي

ينادى الشاعر أبناء وطنه ، ورفاق الكفاح لمواصلة الصمود والمقاومة حتى ينالوا الحرية ، ويقف الشاعر فى وجه المحتل غير مبالٍ بموته قائلاً :

سنصنع من مشانقنا

و من صلبان حاضرنا و ماضينا

سلالم للغد الموعود

ثم نصيح يا رضوان!

افتحْ بابك الموصود![1]

يتكلم الشاعر بلسان حال رفاقه من المقاومين ، سيجعلون من المشانق والصلبان سلماً للاستقلال والحرية ، ويوم القيامة ينادون على "رضوان " حارس الجنة بفتح أبوابها جزاءً على نضالهم ومقاومتهم للمحتل ،فالشعب الفلسطينى بداخله إصرار ، عقيدة وإيمان بأنه سيعود إلى وطنه أرضه داره صامداً فى وجه المحتل .

أنا ساعة الصفر

جئت أقول :

أحاصرهم قاتلاً أو قتيل

أعدُّ لهم ما استطعتُ..وينشقُّ في جثتي قمرُ المرحلهْ

وأمتشق المقصلهْ[2]

أراد الشاعربكلماته السابقة ابتداء مرحلة جديدة مرحلة صمود ومواجهة للعدوفالشاعر منفى عن بلاده فى لبنان لاجئاً ، ولم يمنعه ذلك

[1] نشيد :عاشق من فلسطين ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١،صـ١٤٣

[2] طريق دمشق : محاولة رقم ٧، المصدرالسابق ، صـ٥٤٤

عن استمراره لمقاومة المحتل ، فتوعد العدو وجعل من نفسه بداية لساعة الصفر والمعركة ، فالشاعر يسيطر عليه الزمن الحاضر وتمتلئ نفسه بالطاقة الايجابية والروح النضالية لمحاربة العدو ، ويستعد بكل ما أوتى من قوة لمحاربته ، ويدعو إلى نسيان الزمن الماضى زمن الخلافة والبطولة والانتصارات ، حيث لانفع فيه فلا يستطيع إعادة مجد وحضارة الأمة العربية ، ويوجه نداءه للمحتل قائلاً :

يا أيّها الذاهبون إلى حبّة القمح في مهدها
احرثوا جَسَدي!
..
أيّها الذاهبون إلى صخرة القدس
مرّوا على جسدي
أيّها العابرون على جسدي
لن تمرّوا
أنا الأرضُ في جَسَدٍ
لن تمروا
أنا الأرض في صحوها
لن تمروا
أنا الأرض. يا أيّها العابرون على الأرض في صحوها
لن تمروا
لن تمروا
لن تمروا ![1]

يؤكد الشاعر على أنه الأرض " فلسطين " ويوجه نداءه للمحتلين الذين يذهبون إلى حبة القمح " رمز الأمل " وهى لازالت فى مهدها،فى صمودٍ وتحدٍ يعلن أنهم لن يتمكنوا من الذهاب إلى القدس دون المرور على جسده ، ويؤكد تحديه لهم بأنهم لن يمروا ، وقوله / لن تمروا / تكررت

[1] قصيدة الأرض : أعراس ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ٦٥١.

أكثر من مرة ليؤكد الشاعر تحديه لهم ، تأكيداً منه على استحالة المرور فهو الأرض وهو الشعب الفلسطينى ،ولن يسمح لهم المرور على الأرض مادامت فى صحوها ، وما دام هو والجموع الفلسطينية على قيد الحياة.

٤ – الهـــــوية

تعرف الهوية بـ " **الذات** " [١]وبأنها "**جملة العلاقات المادية و الرمزية التي تربط وتوحد عدداً من الأفراد و هم في حالة صراع ضد مجموعة مشابهة في الجوهر مخالفة في المظهر**" [٢]وقد اتخذت الهوية الفلسطينية فى شعر محمود درويش محورين :

أولاً :التمسك بالهوية الفلسطينية

امتلأت قصائد درويش برفضه الاحتلال والاعتراف به ، وتمسكه بالهوية الفلسطينية ومن ذلك قوله :

سجِّل
أنا عربي
ورقمُ بطاقتي خمسونَ ألفْ
وأطفالي ثمانيةٌ
وتاسعهُم... سيأتي بعدَ صيفْ!
فهلْ تغضبْ؟[٣]

---

[١] **المعجم الوجيز :مجمع اللغة العربية ، صـ٦٥٤**
[٢] **من أجل مفهوم متعدد المستويات للهوية :د. منصف المرزوقى ،يناير ٢٠٠٦،عبر الموقع الإلكترونى http://tunisie.over-blog.org/article-1579832.html (٢٠١٨/١١/١٤م، ٩٣٥م)**
[٣] **بطاقة هوية : أوراق الزيتون ، مصدر سابق ، صـ٧١**

بعزيمة وإصرار يوجه الشاعر كلامه للمحتل الغاصب ، بفورة من الغضب يعلن درويش عروبته ، فالعروبة التى انتمى إليها درويش ماهى إلا هويته الفلسطينية "**هذا الطائر الطليق يرفرف بجناح الشعر فى الآفاق ، يؤكد أنه لم ولن يسرق الوطن من الإنسان الفلسطينى ، طالما أنه يرضع مع طفولته تلك الذاكرة والأحداث والأمجاد والمعاناة ... كان ألم درويش مضاعفاً لأنه ينتمى إلى عرب إسرائيل ، ويعيش فى الوقت ذاته ما يعانيه شعبه فى الشتات ، وداخل الأرض المحتلة من اغتراب ومهانة ، وما يتعرضون له من محاولات مستميته لإفقادهم الهوية العربية ، ظل درويش ممسكاً بالجمر ، يتغنى بعروبته التى يجذرها عبر وقائع وأحداث تاريخية** "[1]عمل الاحتلال على خلق التبريرات لسلب الهوية من الفلسطينيين ، فالفلسطينى عندما يخرج من الأرض المحتلة تعطى له سلطات الاحتلال إذن للخروج بمدة محددة ، فإذا انتهت المدة دون رجوعه يكون متخلياً عن إقامته من فلسطين وليس له حق المطالبة بهويته الفلسطينية .

فالشاعر صريح فى مواجهته للمحتل ، يصرخ بأعلى صوته لإثبات هويته والتمسك بأرضه ، فإن سلب منه الاحتلال هويته الفلسطينة فإنه لا يبالى بفعلهم ويعلن فى تحدٍ لهم بأن هويته كالآتى : أنه عربى ، وله رقم بطاقة وثمانية أطفال .

ومن الأبيات المعبرة عن تمسكه واعتزازه بهويته الفلسطينية قوله :

فلسطينيةَ العينين والوشمِ
فلسطينية الإسمِ
فلسطينية الأحلام والهمّ
فلسطينية المنديل والقدمَين والجسمِ

[1] المرأة الوطن فى شعر محمود درويش : د. زينب العسال ، أدب ونقد ،ع ٣٤٥، يوليو٢٠١٥، صـ٦٠

فلسطينية الكلمات والصمتِ

فلسطينية الصوتِ

فلسطينية الميلاد والموتِ[1]

" الاسم هو أرض الصراع بشأن الهوية ، فالمرأة – الأرض– الوطن لاتستعاد إلا إذا استطاع الشاعر أن يسترجع الاسم الذى يريد الاحتلال محوه ، والاسم الفلسطينى المستعاد هو عنوان معركة الوجود الفلسطينى الذى أخفى تحت ركام النكبة ومأسيها .. الهوية فى القاموس الدرويشى لاتزال تحمل السمات الفكرية والانتماء الطبقى للهوية "[2] إذا أراد الشاعر استرداد أرضه عليه أولاً استعادة اسمها ؛لذا كرر درويش اسم فلسطين سبع مرات فى المقطع السابق ، تأكيداً على هوية الأرض بأنها فلسطينية ، يؤكد درويش على أن الوطن لم ولن يسرق من الفلسطينيين .

ثانياً : فقدان الهوية

لقد جاءت أشعار درويش تعبر عن استنكاره لفقدان هويته الفلسطينية ، وتمسكه بها ومن ذلك قوله :

لم يعرفوني في الظلال التي
تمتصُّ لوني في جواز السفرْ
وكان جرحي عندهم معرضاً
لسائح يعشق جمع الصور
لم يعرفوني، آه.. لا تتركي
كفي بلا شمسٍ،[3]

---

[1] عاشق من فلسطين : الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ٨٢

[2] محمود درويش "الهوية وسؤال الضحية" :إلياس خورى ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، ع٨٣، ص ٤.

[3] جواز سفر : حبيبتى تنهض من نومها ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ٣٥٨

يعبر الشاعر عن حرمانه من الجنسية الفلسطينية ، يشكو التهميش والعزلة والغربة التى يشعر بها فى وطنه نتيجة للاحتلال ، فإذا ما أراد دخول بلده عليه حمل جوازا للسفر .

عندما سئل درويش عن هذه القصيدة وماذا تعنى له أجاب قائلاً :" **هذا النوع من الشعر كتبته تلبية للنداءات الداخلية والخارجية ، كان سؤال الهوية هو السؤال الملح فى شبابى الشعرى أو فى صباى، وهو مازال مطروحاً حتى الآن ، ولكن فى طرق مختلفة ، وفى أشكال تعبير مختلفة . كانت ظروف الحياة هناك ربما تقتضى هذه المخاطبة المباشرة** "[1] أحسّ درويش الاغتراب فى وطنه ، فالأبيات بها نكران من قبل المحتل لهويته ، فالمحتل لم يعرفه حين نظر إليه فى جواز السفر ، حتى الظلال ترفض أن تدل عليه ،ونشر المحتل ذلك على الملأ كالسائح العاشق لجمع الصور ، يحتمى الشاعر بمحبوبته فلسطين متوسلاً لها بأن تدلهم عليه ، وألا تترك كفه بلاشمس.

وقد استنكر درويش موقف الرئيس الراحل "ياسرعرفات "، وتوقيعه لاتفاقية "أوسلو" قائلا:

مَنْ سيُنْزِلُ أَعْلامنا: نَحْنُ، أم هُمْ؟ وَمَنْ
سوْف يتلوعليْنا "مُعاهَدَة اليأْسِ"، يَا مَلِكَ الإِحْتِضَارْ؟
كُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ لنا سلَفاً ، منْ سيَنْزِعُ أَسْماءنَا
عنْ هُوِيَّتنا: أَنْتَ أمْ هُمْ؟ وَمَنْ سوْفَ يزْرعُ فينا
خُطْبَةَ التّيهِ: "لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَقُكَّ الْحِصار[2]

"يروي أمنون كابليوك ما يلي: أخبرني محمود درويش، حين قرأ مشروع اتفاق أوسلو انه قال لعرفات إن ثمة أموراً كثيرة ظلت

---

[1] محمود درويش الغريب يقع على نفسه: عبده وازن ،رياض الريس للكتب والنشر ، ط١، يوليو ٢٠٠٦م ، صـ ٦٤

[2] للحقيقة وجهان والثلج أسود " أحد عشر كوكباً على آخر المشهد الأندلسى " : أحد عشر كوكباً ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج٢، صـ٤٨٥، ٤٨٦

غامضة، وأن هذا الغموض يستفيد منه دائماً الطرف الأقوى ... وأضاف درويش: «أنا أريد كلمة دولة». وشدد أيضاً على أن الاتفاقية لا تتضمن عبارة «إنهاء الاحتلال» "[1]فقد كان درويش رافضاً لهذه الاتفاقية بشروطها المجحفة فى حق الشعب الفلسطينى ، وعبر عن استنكاره لموقف الرئيس الراحل " ياسر عرفات " . رحمه الله . وتوقيعه لهذه الاتفاقية وتوجيه اللوم له متسائلاً / **من سينزل أعلامنا نحن أم هم** / فقد ساوى درويش بين الاحتلال وقبول مثل هذه الشروط لأن ذلك اعتراف بوجود وسيادة الاحتلال على الأراضى الفلسطينية.

بقبول الرئيس ياسر عرفات لشروط هذه الاتفاقية ، فرض على الشعب الفلسطينى الذل والموت المعنوى / **من سينزع اسمنا من هويتنا أنت أم هم ؟** / ساوى درويش بين التوقيع على هذه الاتفاقية ، وبين نزع الهوية ، فهى بمثابة فقدان الشعب الفلسطينى لهويته الفلسطينية .

ومن الأبيات التى دلت على فقدان هويته قوله :

عارٍ من الاسم، من الانتماءْ ؟
في تربة ربَّيتها باليدينْ؟[2]

عبر الشاعر عن حالة الضياع والتشرد والحرمان من الانتماء لوطنه بقوله / **عارٍ من الاسم من الانتماء**/ إذ كيف لدرويش أن يحرم من حمل اسم وطنه ، ومن حمل الهوية الفلسطينية ، مع أن الأرض هى التى زرعها ونماها ورواها بدمه وعرقه ، فالاستفهام هنا للتعجب والاستنكار .

---

[1] استقالة محمود درويش : رواية أمنون كابليوك فى كتابه "عرفات الذى لايقهر "، رام الله ، وزارة الثقافة ، فلسطين http://palestine.assafir.com/Article.aspx?ArticleID=1693 (٢٤/١١/ ٢٠١٨ م ، ٩:٢٦ ص)

[2] جواز سفر : حبيبتى تنهض من نومها ، المصدر السابق ، ج١، صـ٣٥٩

٥- الســـــجن

سجن درويش أكثر من مرة فى سجون الاحتلال الإسرائيلى " **دخل محمود درويش سجون الاحتلال أكثر من مرة وكانت المرة الأولى ١٩٦١م .. وجاء السجن الثانى لمحمود درويش ١٩٦٥م ،كان الشاعر قد سافر من حيفا إلى القدس بدون تصريح .. ومابين ١٩٦٥ و ١٩٦٧ سجن الشاعر مرة ثالثة عندما حامت حوله شبهة النشاط المعادى لإسرائيل .. وفى يونيو ١٩٦٧ صدرت أوامر إسحق رابين .. باعتقال كل المثقفين العرب ، واختفى درويش ولم تستطع السلطات الإسرائيلية العثور عليه لاعتقاله ..فى سنة١٩٦٩ اعتقل محمود درويش للمرة الخامسة فى سجن " الجلمة** " "[١] إن اعتقال درويش فى السجون الإسرائيلية له أكبر الأثر فى تفجير موهبته الشعرية ، حيث وجد فيه متنفساً ، وثق لحظات وجوده فى السجن والتعذيب والتضييق على المعتقلين ، اتخذ من كلماته سلاحاً يدافع به عن وطنه وكتب درويش الكثير من القصائد فى السجن فلم ينقطع نضاله داخله ، حيث أن كتابات السجن تعتبر " **رافد هام من روافد الأدب العربى الحديث ، أسهم فيه بدرجات متفاوتة رجال ونساء .. وكتاب مهمتهم الكتابة ، وكتاب كان نص السجن هو نصهم الوحيد ، سجلوا فيه تجربتهم** ." [٢]قام درويش بتوثيق فترة وجوده فى السجن ، ومن خلال أشعاره يمكن معرفة المضايقات التى تعرض لها الفلسطينى فى سجون الاحتلال ."**ربما يكون الشعر حالة من حالات تفريغ السجين للمشاعر والانفعالات التي يحس بها، وقديكون تعبيراً عن لحظة من لحظات الألم التي يعاني منها، وبخاصة أنه يعاني حالة من فقدان الحرية، ويعيش ظروفا قاسية، حيث الغرف الضيقة، والزنازين الموحشة،**

---

[١] محمود درويش شاعر الأرض المحتلة : رجاء النقاش ، دار الهلال ، ط٢ ، صـ ١١٠: ١١٣

[٢] أدب السجون : ت .شعبان يوسف " أدب السجون فى العالم العربى" : رضوى عاشور ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤، صـ١٢١٢٨

والمعاناة اليومية.وفي مثل هذه الحالات قد يكون الشعر سلاحا من الأسلحة التي يستخدمها السجناء للدفاع عن ذواتهم من خلال التعبير عما يجيش في نفوسهم، فتنتعش أرواحهم برغم القيود."[1] هكذا اتخذ درويش من السجن تنفيساً عن انفعالاته وغضبه من المحتل ، لم يضعف السجن من روح درويش النضالية ، ولم يهن عزيمته بل ظل صامداً ، يوجه كلماته النضالية فى صدر العدو ، واستطاع درويش توثيق مايحدث فى السجون الإسرائيلية عن طريق شعره وكلمات قصائده .

وقد تعرض الأسرى الفلسطينيين إلى التنكيل والتعذيب الذى يصل إلى القتل عبر درويش عن ذلك بقوله :

يحكون في بلادنا
يحكون في شَجَنْ
عن صاحبي الذي مضى
وعاد في كفنْ[2]

يحكى درويش عن صاحبه الذى وقع أسيراً للاحتلال ، وسجن فى السجون الإسرائيلية ، عاد إليه فى كفنه قتيلاً شهيداً ، هذا حال الأسرى الفلسطينيين يدفعون أرواحهم فداءً للوطن ، غير مبالين بما يلاقونه من أساليب التعذيب فى سجونهم الأمر الذى يصل إلى قتلهم ، ومن القصائد التى كتبها درويش داخل سجنه ألهب بها حماس الفلسطينيين لمقاومة المحتل قوله :

من آخر السجن ' طاردت كفُّ أشعاري
تشد أيديَكُمْ ريحاً.. على نارِ

[1] الأدب الفلسطينى فى سجون الاحتلال الإسرائيلى ، ١٩٨٧-٢٠٠٠ م: محمود موسى محمود زياد ، مصدر سابق ، ص٣٩
[2] وعاد فى كفن : أوراق الزيتون ، مصدر سابق، صـ١٨

أنا هنا ، ووراء السورِ، أشجاري
تُطوّع الجبلَ المغرورَ.. أشجاري
مذ جئتُ أدفع مهر الحرف ، ما ارتفعتْ
غيرُ النجوم على أسلاك أسواري[1]

بينما يمارس المحتل اعتدائه على أبناء الشعب الفلسطينى ، ودرويش واحد منهم ، يمارس درويش حقه صامداً خلف أسوار السجن ، يبث كلماته النضالية لتلهب حماس ونضال أبناء شعبه ، فالفلسطينيون رمز إليهم الشاعر برمز " أشجارى " يقاومون المحتل الغادر والذى رمز إليه بـ " الجبل المغرور " رغم قلة إمكانياتهم .

ويكمل قائلا :

أقول للمُحْكِم الأصفادَ حول يدي :
هذي أساور أشعاري وإصراري
فى حجم مجدكم نعلى ، وقيد يدي
في طول عمركمُ المجدولِ بالعارِ :
أقول للناس , للأحباب : نحن هنا
أسرى محبتكُمْ في الموكب الساري
في اليوم , أكبر عاماً في هوى وطني
فعانقوني عناق الريح للنارِ[2]

يوجه حديثه للسجان الإسرائيلى هذه الأصفاد المحكم بها قيده ماهى إلا أساور يزين بها شعره فى وجه المحتل ، وفى الأبيات يخاطب الشاعر المحتل الإسرائيلى ، وقد ساوى بين مجدهم " إن كانوا يعتبرون احتلالهم للأراضى الفلسطينية مجداً" ونعله ، فإن عمر دولتهم ومجدهم مجدول بالعار .

[1] برقية من السجن : عاشق من فلسطين ، مصدر سابق، صـ١٠٢
[2] المصدر السابق ، صـ١٠٢

فلم يضعف السجن من عزيمة وإصرار الشاعر فى مقاومة المحتل فما زاده السجن إلا حباً لوطنه ، ويطلب من أبناء شعبه أن يسيروا على دربه من المقاومة ورفض الاستسلام" **اعتادت الشرطة اعتقال شاعرنا كل سنة تقريباً ، وربما سجن دون محاكمة ، حتى أصبح الاعتقال له عادة ، والسجن له مكانا مألوفا**"[1]فرض المحتل حصاره على الفلسطينى بكل أشكال التنكيل وحرموهم من كل حقوقهم بل من أبسطها ، وهى حق التعبير والكلام فمن يتكلم رافضاً الاحتلال ، يزج به فى السجون .

اتخذ درويش من السجن وزنزانته مؤنساً له يتنفس من خلال أشعاره التى يكتبها فيها .

كعادتها،
أنقذتني من الموت زنزانتي
ومن صدأ الفكر ، والاحتيال
على فكرة منهكهْ.
وجدتُ على سقفها وجه حريّتي[2]

عمد الاحتلال إلى تضييق الحصار على الأسير الفلسطينى ، حصار جسدى ونفسى ، فلم يجد درويش مؤنساً له فى سجنه سوى جدران زنزانته فأصبحت الجدران هى الملاذ والمنقذ له من موته .

فدرويش فى منفاه حبيس سجين ، وعندما يتأمل وينظر إلى سقف زنزانته ، يتذكر أنه يدفع ثمن حريته ، دفع درويش ثمن حبه لوطنه ، سجنه ، منتظراً أن يجنى ثمار سجنه بتحرير فلسطين .

---

[1] شاعر المقاومة محمود درويش : أحمد حسن ، مصدر سابق ، ص ١٦
[2] لاجدران للزنزانة : العصافير تموت فى الجليل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ٣٠٠

صور درويش الحرب النفسية التى يمارسها السجان الإسرائيلى على الأسير الفلسطينى ، قصد من خلالها ضعف وانهيار المناضل وفقده للأمل .

وطني ! يعلمني حديدُ سلاسلي
عنف النسور ، ورقة المتفائلِ[1]

إن القيود والسلاسل التى قيد بها درويش فى سجنه علمته كيف يكون مقاتلاً ، كيف يقاوم كالنسر فى عنفه وقوته ، فما زاده سجنه إلا مقاومة ونضالاً ، تعلم كيف يكون قوياً ، وأن يخلق من ضعفه قوة .

يستكمل درويش فى تصوير ألوان العذاب التى يمارسها السجان الإسرائيلى على الأسير الفلسطينى.

سَدُّوا عليَّ النور في زنزانةٍ
فتوهَّجتْ في القلب .. شمسُ مشاعلِ
كتبوا على الجدارن رقم بطاقتى
فنما على الجدران.. مرج سنابلِ
رسموا على الجدارن صورةَ قاتلي
فمحتْ ملامحَها ظلالُ جدائلِ[2]

حاصر السجان الإسرائيلى الأسير الفلسطينى حصاراً نفسياً فى زنزانته ومن صور الحصار ، التضييق عليه فى زنزانته ،حجب النور عنه ، لكن الشاعر فاض شمس قلبه على بصره ، فقد بدد ظلام السجان بنور بصيرته ، ومن أشكال الحصار والعذاب النفسى كتابة رقم الأسير على زنزانته ، فما زاده ذلك إلا صموداً ومقاومة ، فقد رأى درويش هذه الأرقام سنابل ، وهى رمز للحياة والمقاومة .

كذلك رسم السجان صورة المشنقة على جدران زنزانته ، بقصد إرهابه ، لكن سرعان ماانمحت هذه الرسمة ، فهى ضعيفة كالاحتلال.

---

[1] رد فعل " أغنيات إلى الوطن " : آخر الليل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١ ، صـ٢٣٥

[2] المصدر السابق ، صـ٢٣٥

٦-الغربة والحنين إلى الوطن

الغربة عاناها درويش كثيراً داخل وطنه وخارجه ، داخله حينما أبصر وطنا لم يعهده من قبل فى قبضة المحتل ، فهى غربة نفسية روحية ، وغربة خارج وطنه ، وهى غربة جسدية قهرية ، واتخذ درويش منها منبراً ليكمل عمله الكفاحى ضد الاحتلال، وقد آثر الاحتلال شعور الاغتراب لدى درويش فى وطنه منذ نعومة أظافره ، فعندما عاد درويش إلى وطنه بعدما أجبر هو وأهله على الخروج منها لم يعد إلى موطنه الأصلى ، وإنما عاد إلى قرية أخرى وفى ذلك يقول درويش :" **كنت لاجئاً فى لبنان وأنا الآن لاجئاً فى بلادى.. وقد خبرت النوعين من اللجوء ، فإننا نجد أن اللجوء فى الوطن أكثر وحشية ، العذاب فى المنفى والأشواق ، وانتظار يوم العودة المؤكد شيء له ما يبرره .. شيء طبيعى ، ولكن أن تكون لاجئاً فى وطنك فلا مبرر لذلك ولا منطق فيه** "[١] شعر درويش بالغربة فى وطنه ، وهى غربة نفسية واجتماعية وفكرية نتيجة للاحتلال ، فتارة يقع تحت سطوة اليأس والإحباط وأخرى يتعلق بالأمل والحنين والشوق لوطنه ، الذى عهده من قبل ، ونعم به وبخيراته .

أولاً : الغربة والاغتراب داخل الوطن

عبر درويش عن اغترابه قائلا :

عندما كنتُ صغيراً
وجميلاً
كانت الوردة داري
و الينابيع بحاري

[١] لهم الليل والنهار لى ! : محمود درويش ، مصدر سابق ، صـ٥ .

صارت الوردةُ جرحاً

و الينابيع ظمأ[1]

يشتاق درويش ويحن لسابق عهده فى وطنه وقريته " البروة " يتذكر الشاعر فلسطين فى صباه عندما كان يتمتع بقريته ، يعيش طفولته كباقى الأطفال فى سنه ، يتمتع بالأمان مع أسرته ، يرتع ويلعب مع رفاقه كأنه اشتاق لذكريات الطفولة وعهده السابق ، وصور فلسطين بالوردة فى جمالها ، لكن درويش يشعر بالغربة فى وطنه ،صارت الوردة جرحاً ، لما آل إليه حالها ، ووقوعها أسيرة تحت سطوة الاحتلال .

كذلك من الأبيات التى عبر فيها درويش عن اغترابه عن الوطن قوله :

..وحين أُحدِّق فيك

أرى مُدناً ضائعهْ

أرى زمناً قرمزياً

أرى سبب الموت والكبرياء[2]

يخاطب الشاعر محبوبته " فلسطين" يبكى حالة الضياع والاغتراب التى يشعر بها حينما يحدق النظر إليها ، بسبب الاحتلال ، وتحول قريته إلى مستعمرات أقامها الاحتلال فغير الاحتلال ملامح وطنه لذا عبر عنها درويش بلفظ الضياع .

لقد تحول كل شيء فى وطنه إلى نار محرقة ، وهذا انعكاس لشعوره بالغربة فى وطنه .

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزمنِ

أهديك ذاكرتي

ماذا تقول النار في وطني

---

[1] غريب فى مدينة بعيدة : العصافير تموت فى الجليل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ٢٧٧

[2] قراءة فى وجه حبيبتى : العصافير تموت فى الجليل ، المصدر نفسه ، صـ٢٩٥

ماذا تقول النار؟
هل كنتِ عاشقتي
أم كنت عاصفةً على أوتار؟
وأنا غريب الدار في وطني
غريب الدار..[1]

حالة الاغتراب تسيطر على درويش فلم يجد سوى ذاكرته ،يستعيد من خلالها وجوده فى وطنه فلسطين ، عندما كانت آمنة ينعم خلالها بالأمن والأمان ، يتساءل عن وجود النار فى وطنه ، إن كل مافى وطنه قد احترق ، فالنار اجتاحته ، النار ملازمة لدرويش تحرقه وتحرق كل شيء فى وطنه ، هذا الحرق " معنويا" نتيجة شعوره بالغربة والاغتراب فى بلاده / **أنا غريب الدار فى وطنى** / الاغتراب هنا ليس "**اغتراباً مادياً عن طريق الرحيل ، وإنما هو اغتراب روحى يتمثل أكثر ما يتمثل فى عدم التكيف الاجتماعى والنفسى** "[2]لم يستطع الشاعر التكيف مع وضع الاحتلال ، فأدى ذلك إلى شعوره باغتراب نفسى فى وطنه ، واتخذ من قصائده سلاحاً يناضل من أجل قضيته ." **الشاعر يعبر فى تجربته عما فى نفسه من صراع داخلى سواء كانت تعبيراً عن حالة من حالات نفسه هو ، أم عن موقف إنسانى تمثله** "[3]اتخذ درويش من قصائده منبراً يعبر من خلاله عن حالة الغربة والاغتراب التى عاشها والشعب الفلسطينى داخل وطنهم فقد كان ممنوعاً من مغادرة حيفا مدة عشر سنوات ، كانت إقامته جبرية ، ثم تطور الأمر ١٩٦٧م ، حيث ظل درويش مدة ثلاث سنوات ممنوعاً من مغادرة منزله .

---

[1] قتلوك فى الوادى : أحبك أو لا أحبك ، المصدر نفسه ، صـ٤١٤
[2] الغربة والحنين فى الشعر العربى الحديث: د. ماهر حسن فهمى ، معهد البحوث للدراسات العربية ، ١٩٧٠م ، صـ١١٠
[3] النقد الأدبى الحديث :د. محمدغنيمى هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، أكتوبر ١٩٩٧م، صـ ٣٦٣

وحين أعود للبيتِ

وحيدًا فارغًا، إلاّ من الوحده

يداي بغير أمتعةٍ ، وقلبي دونما وردهِ[1]

أثر الاحتلال وضاعف شعور الاغتراب لدى درويش ، وهنا يصور معاناته من فرض الاحتلال الإقامة الجبرية عليه فى منزله ، فالشعور بالوحدة يسيطر عليه .

ثانيا : الغربة خارج الوطن

لم يترك درويش وطنه بإرادته ، بل أجبر على تركه بفعل ملاحقته وسجنه من قبل الاحتلال لذا فضّل أن يواصل نضاله وجهاده من مكان آخر" **فمحمود ينتمى إلى الغربة المادية أو (المنفى الإجبارى) على نحو يتساوى فيه مع كل الفلسطينيين بشكل أو آخر ، لأن فقدان الوطن والاحتلال قد حرما كل الفلسطينيين من حميمية الحياة الوطنية .. غير أنه فى الآن ذاته مغترب عن مجتمعه الفلسطينى غربة ذاتية داخلية .. وهو مايسميه محمود أيضا بالمنفى الاختيارى من أجل البحث عن شروط أخرى للحياة ..**"[2] هكذا شرد الاحتلال شعباً بأكمله فى المنافى ، حرم فيه الشعب الفلسطينى من وطنه ، اتخذ درويش من قصائده وأشعاره متنفساً له ، يواسى قلبه المكلوم بفقد وطنه ، يبث شوقه وحنينه إلى وطنه .

---

[1] أغنية : أوراق الزيتون ، مصدر سابق، صـ٣١

[2] فى الاغتراب وتجلياته : سلافة حجاوى ، مؤسسة محمود درويش ، مجلة الطريق - رام الله ، ع٥٢، ديسمبر٢٠٨

http://www.mahmoddarwish.com/?page=details&newsID=471&cat=19

(٢٠١٨/١/١٢، ١٢ م)

(يا صديقي ،أيّها الجيتار
خذني..
للشبابيك البعيدهْ)
..
(يا صديقي، أيّها الجيتار
خذني..
للعيون العسليّهْ)[1]

تحدث درويش عن صديقه عازف الجيتار ، كان رساماً يبدع بريشته لكن درويش يستوقف عند الصور ، فهى لاتفتح الأبواب ، لاتكسرها لاتكسر حدود وعراقيل الاحتلال ، لاتفتحها ، لاترد هذه الصور الاحتلال عن وطنه .

يلجأ إلى صديقه عازف الجيتار بأن يأخذه بعزفه إلى الشبابيك البعيدة إلى القدس العتيقة ، فالشاعر لديه شوق وإصرار وحنين للعودة مرة أخرى إلى محبوبته فلسطين " ذات العيون العسلية " ، إن الاحتلال هو الحائل بينه وبين محبوبته فلسطين ، فهو السبب فى بعده وغربته عن وطنه .

تداخل جلدي بحنجرتي ، تحت نافذتي تعبر الريح
لابسةً حَرَسا . و الظلامُ بلا موعد. حين ينزل
عن راحتّيّ الجنودْ
سأكتبُ شيئاً..
و حين سينزل عن قدميّ الجنود
سأمشي قليلاً..

[1] عازف الجيتار المتجول : أحبك أو لا أحبك ، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج١، صـ٤٠٦، ٤٠٧

و حين سيسقط عن ناظريّ الجنود
أراك.. أرى قامتي من جديد.[1]

يعبر عن غربته فى منفاه خارج حدود الوطن ، فالاحتلال حائل بينه وبين وطنه ، تحت نافذته يوجد الاحتلال " كأن النافذة هى نافذة عودته " حرساً يقيد حركته ويمنعه الرجوع والعودة ، لكنه على أمل اللقاء بها والعودة مرة أخرى ، حينما ينزل الجنود عن قدمه سيبدأ بالكتابة ، وكأن القيود كبلت قدميه ، وقيدت حركته ، وحينما يسقط الاحتلال وحصاره ، سيرى نفسه من جديد ، ووطنه الذى عاهده من قبل " **تشيدت ظاهرة الغربة من خلال البعد عن الوطن ، والحنين إليه ، وضيق النفس والمكان فى ديار الاغتراب ، وبسبب النزوح القسرى أحس الشعراء فى داخل الوطن وخارجه بألم البعد والحرمان والقهر ، وظهرت ملامح الغربة والتمرد فى الشعر الذى صور حياة التشرد والاذلال والجوع فى مواطن الاغتراب ، ثم الحنين إلى مرابع الطفولة** ." [2] لذا أخذ درويش يتغنى بذكرى وطنه العزيز فى أشعاره ، وامتلأت قصائده بالشوق والحنين له مرة أخرى ، لقد كان ينزف قلب درويش ويئن وجعاً على وطنه الجريح ، اتخذ من قصائده تعبيراً عن الرفض والتمرد للمحتل ، وتعويضاً عن الحرمان النفسى الذى شعر به درويش داخل وخارج وطنه .

[1] مزامير : أحبك أو لا أحبك ، المصدر السابق، صـ٣٧١،٣٧٢
[2] الاغتراب فى شعر محمود درويش : إبراهيم محمد صبيح ، مصدر سابق ، صـ ٨٥،٨٦

الخاتمة ونتائج البحث

استطاع درويش أن يجسد بشعره صورة الوطن الواقعى فى ظل الاحتلال ، جاء متنوعاً فى صوره مابين " التشريد والإبعاد – اللجوء والمعاناة – الصمود والمقاومة – الهوية – السجن –الغربة والحنين إلى الوطن " أبدع فى تصوير المعاناة التى يعيشها الفلسطينى فى ظل الاحتلال مما جعل القارئ معايشاً لتجربته الواقعية ، واستحضار الوطن فى ذهنه كأنه ماثل أمام عينه ، مما يدل على صدق عاطفته .

- قبل الاحتلال نعم درويش بالعيش فى وطنه وسط أسرته شأنه فى ذلك شأن الأطفال فى عمره .
- حرب ٤٨" النكبة " أجبرته على ترك أرضه ووطنه الذى عاش ونشأ به ، مودعاً ذلك المكان بين عشية وضحاها .
- حرم درويش من ممارسة طفولته فى سن مبكر نتيجة للاحتلال ، دخل فى مرحلة الكبار .
- تكبد درويش فجيعة وطنه مرتين ، مرة عندما كان لاجئاً فى لبنان ، والأخرى عندما عاد إلى وطنه .
- عاش واقعاً مريراًمن سجن وحبس فى سجون الاحتلال دون محاكمات ، عاش متهماً فى وطنه ، ذنبه حبه له .
- اتخذ من أشعاره سلاحاً يناضل به وسلاحاً يشهره فى وجه العدو .
- حلم العودة راوده منذ خروجه من وطنه ، كان فى غربته يتمزق شوقاً وحنيناً لوطنه .

المصادر والمراجع

١- أدب السجون : ت .شعبان يوسف " أدب السجون فى العالم العربى" : رضوى عاشور ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤

٢- الأدب العربى المعاصر فى فلسطين ١٨٦٠م .١٩٦٠م : د.كامل السوافيرى ، دار المعارف

٣- الأدب الفلسطينى فى سجون الاحتلال الإسرائيلى (١٩٨٧م . ٢٠٠٠): محمود موسى محمود زياد ،جامعة بيرزت

٤- الأعمال الشعرية الكاملة : محمود درويش ، دار الساق ، ج١.

٥- الأعمال الشعرية الكاملة : محمود درويش ، دار الساق ، ج٢.

٦- الاغتراب فى شعر محمود درويش: إبراهيم محمد صبيح ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد . العراق،١٩٩٩م، ع ٤٧

٧- الخصائص الفنية لمضامين شعر محمود درويش :حسن مجيدى ، فرشته جان نثارى ،إضاءات نقدية ،السنة الأولى، ع٤، ٢٠١١م

٨- شاعر المقاومة محمود درويش :أحمد حسن ،دار الفاروق للاستثمارات الثقافية ،ط١،٢٠٠٩م.

٩- شعر المقاومة عند محمود درويش من النص إلى المصطلح قراءة فى قصيدة "بطاقة هوية" : د. فيصل صالح القصيرى ، مجلة آداب الفراهيدى ، السنة الأولى ، ع٢

١٠-صورة النكبة فى شعر محمود درويش : محمد فؤاد ديب السلطان ،جامعة الأقصى ، مجلة الجامعة الإسلامية ، مج١٠، ع ١،٢٠٠٢

١١-الغربة والحنين فى الشعر العربى الحديث: د. ماهر حسن فهمى ، معهد البحوث للدراسات العربية ، ١٩٧٠م

١٢-الفقرفى فلسطين وسياسات مكافحته حالة عملية (محافظة جنين):عبد الله صادق أمين حسن ،جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا.

١٣-لهم الليل والنهار لى ! : محمود درويش ، مجلة الآداب البيروتية ، ع٤،أبريل ١٩٧٠م
١٤-محمود درويش "الهوية وسؤال الضحية" :إلياس خورى ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، ع٨٣
١٥-محمود درويش الغريب يقع على نفسه: عبده وازن ،رياض الريس للكتب والنشر ، ط١، يوليو ٢٠٠٦م
١٦-محمود درويش شاعر الأرض المحتلة : رجاء النقاش ، دار الهلال ، ط٢
١٧-المرأة الوطن فى شعر محمود درويش : د. زينب العسال ، أدب ونقد ،ع ٣٤٥، يوليو٢٠١٥
١٨-المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية .
١٩-النقد الأدبى الحديث :د. محمدغنيمى هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، أكتوبر ١٩٩٧م

المواقع الإلكترونية

١- من أجل مفهوم متعدد المستويات للهوية :د. منصف المرزوقى ،يناير ٢٠٠٦،عبر الموقع الإلكترونى -http://tunisie.over blog.org/article-1579832.html
٢- استقالة محمود درويش : رواية أمنون كابليوك فى كتابه "عرفات الذى لايقهر "، رام الله ، وزارة الثقافة ، فلسطين

http://palestine.assafir.com/Article.aspx?ArticleID=1693

٣- فى الاغتراب وتجلياته : سلافة حجاوى ، مؤسسة محمود درويش ، مجلة الطريق . رام الله ، ع٥٢، ديسمبر ٢٠٨
http://www.mahmoddarwish.com/?page=details&newsID=471&cat=19